بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالرحمن السبيلي
A. Al-Shobaily

(ص ١)

عبدالعزيز التويجري
بين السياسة والأدب والتاريخ

د. عبدالرحمن السبيلي*

مقدمة:

بداية

مضى على تأسيس المملكة العربية السعودية قرن وستة أعوام ميلادية، عندما انطلق مؤسسها الراحل الملك عبدالعزيز من الكويت عام 1902، ليعيد عبر سيرة جهادية وسياسية رائعة - دون توقف - لمدة ثلاثين عاماً، مجد الدولة السعودية التي بدأها جده الخامس (محمد بن سعود) في منتصف القرن الثامن عشر (1744).

كما، ولما يبلغ الثانية والعشرين، قد تجمّع حوله أنصار أعمامه، وتفلّت الدولة الثانية، بعد أعمامه، وتشتت أسرته، وتغلّبت الدولة الثانية، فأقدم مدفوعاً بالعزيمة والعبقرية الفطرية المبكرة، مجيداً لعبة شطرنج السياسة، وبراعة النزال، وتكتيك التعامل مع القبائل، وفن احتواء الناس، حتى استطاع في غضون عقدين وأضف من حكمه الذي دام ثلاثين عاماً، أن يخلق الجزيرة من الأشتات، ويجمع أطراف البلاد في دولة عربية واحدة، لم يكن تعينه في ذلك سوى الحظ والتوفيق، والحنكة والسيف والفرس، والرجال الأوفياء المخلصين في أسطورة لم يماثلها سوى نماذج نادرة من قصص التاريخ.

ص.ب P.O. Box 843 الرياض Riyadh 11421 تليفون Tel. 4707900 فاكس Fax. (+ 9661) 4708177 المملكة العربية السعودية Saudi Arabia

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالرحمن الشبيلي
A. Al-Shobaily

اصطفاء الرجال :

أحاطت بالإمام ، كما كان يسمى ، منذ بداية حركة التوحيدية نخبة من رجالات نجد ، ومن أبناء عمومته ، من رافقه رحلته الأولى وكان منهم زعماء قبائل ورؤساء عشائر ، ثم أمراء أقاليم يتوقون إلى ابناء سنوات من التفكك والضعف ، ثم أحاطه أصهاره وأعيانه من البلدات التي أعاد ضمها ، ومن جنوده كانوا تعلموا في البصرة والهند وبلاد الشام ، وانضم إليه مع تقدم فتوحاته ونجاحاته رجال كانوا موالين لخصومه في تركيا والأحساء وحائل والحجاز وعسير ، ثم تحولوا لنصرته ومع الأيام اجتمعت لديه منظومة من المستشارين من سائر الأقطار العربية والأجنبية ، كان من بالغ المهارة أن تجدهم ، ومن البراعة أن توظف قدراتهم ، ومن الكياسة أن تمزج خبراتهم ، وتحافظ على إيقاع حماستهم وشدة بأسهم .

هنا ، نقف أمام عينة من رجاله ، الذين شهدوا مولد الدولة الجديدة (في عودها الثالث) وأسهموا في تأسيسها ، وأدركوا بعض العقود الخمسة والنصف التي حكم فيها (حتى عام 1953) ، كانوا بالمئات ، فقد تم الملك - وفقه سنة الحياة - واحداً واحداً ، حتى لم يبق منهم الآن سوى أعداد ليست من المئين .

ص . ب P.O. Box 843 الرياض Riyadh 11421 تليفون Tel. 4707900 فاكس Fax. (+ 9661) 4708177 المملكة العربية السعودية Saudi Arabia

بسم الله الرحمن الرحيم

A. Al-Shobaily

عبدالرحمن الشبيلي

(٣)

كان من أواخر هؤلاء أربعة أشقاء من أسرة التويجري، الذين تحدر من قبيلة عنزة، وتتركز في المجمعة (بإقليم سدير) شمال الرياض وفي القصيم وغيرها، كان أولهم حمد الذي تولى مالية إقليم سدير ثم مالية القصيم، من أبرز أعمال العمل المالي في عهد الملك عبدالعزيز. وكان الثاني محمد الذي توفي بمكة، ثم عبدالعزيز، موضوع هذا المقال، الذي توفي فجر يوم الأحد (10/6/2007)، ثم عبدالله حفظه الله، الذي تقلب في عدد من الوظائف في الديوان الملكي السعودي في عهد الملك عبدالعزيز، كان آخرها عمله في السفارة السياسية.

سيرة وسيرة:

ولد صاحب هذه الترجمة، وفق أرجح الأقوال، في مطلع العقد الثاني من القرن الهجري المنصرم، وهو ما يتطابق زمنياً في سلسلة الحوادث الواقعة في نجد مع انتهاء الحكم العثماني في الأحساء، وعودة الإقليم إلى الحكم السعودي، وكان التويجري تأثر كثيراً من النابهين من جيله، مثل الشيخ حمد الجاسر وعبدالكريم الجرجاية، لم ينل حظاً من التعليم الحديث في القرى والبلدات التي (الجاسر والجرجاية) إلى ولد وافيا، فانضوى الأخيران بينما اتجه التويجري طلب العلم في الحجاز بعد نهاية حكم الأشراف فيه، فخلفه في الإشراف على متأثراً بأخيه الأكبر (حمد) في الإدارة، (وهي فترة إعادته مالية سدير في مطلع الثلاثينيات الهجرية، وكان في الوقت حينك بالأدباء توحيد المملكة تحت اسمها الحالي)، وكان في الوقت نفسه

Saudi Arabia المملكة العربية السعودية Fax. (+ 9661) 4708177 فاكس Tel. 4707900 تليفون Riyadh 11421 الرياض P.O. Box 843 ص. ب

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالرحمن الشبيلي A. Al-Shobaily

والمثقفين ، ويطوّر نفسه بنفسه ، وقد تأثر كثيراً بأدب المتنبي وكتابات ابن خلدون في تتبع تأولات التاريخ ، ولم يستثن في صداقاته أية طائفة أو صاحب رأي مختلف معه .

التوجري سياسياً :

استمر في عمله الإداري والمالي نحو أكثر من ثلاثة عقود ، حتى قادته الظروف إلى أن يلتحق في مطلع الستينات برئاسة الحرس الوطني السعودي مديراً لمكتب رئيسه آنذاك (الملك الحالي) عبدالله بن عبدالعزيز ، الذي منح ثقته الكبيرة له ، وتوطدت بينهما عرى من المحبة الصافية . وهنا توافرت للتوجري فرص رفادة رئيسه بالرأي الناضج والمشورة الخالصة والعون الصادق ، في حين كان الأمير - الرئيس يزيده لتسنم ولاية العهد ، ومن ثم قيادة البلاد .

لقد تحول التوجري من مدير مالية وجندي في جيش الموحد إلى واحد من صناع القرار السياسي ، وأنجب نخبة من الأشبال أكملوا مسيرة والدهم في الوفاء للقيادة والعمل التنويري ، واستمالة القلوب .

القومية الثقافية :

سعى التوجري ، ليعاود رئيسه ، لتغيير الوجه العسكري والبدوي للحرس الوطني بجيش يبني وجهة المزج بين القومية والثقافة والخدمات الاجتماعية ، وليصبح صرحاً أمنياً وحيوياً وعلمياً واجتماعياً ، فكان أحد مهندسي ما يعرف اليوم بالمهرجان الوطني للتراث والثقافة (بالجنادرية) الذي بدأ في عهد الملك خالد في شكل مهرجان لسباق الرجل (الهجن) ثم صار محفلاً ثقافياً بارزاً يضاهي أمثاله في أصيلة وقرطاج وغيرهما .

ص . ب P.O. Box 843 الرياض Riyadh 11421 تليفون Tel. 4707900 فاكس Fax. (+ 9661) 4708177 المملكة العربية السعودية Saudi Arabia

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالرحمن بن سر الشبيلي
A. Al-Shobaily

(٥)

لقد بلغ من اهتمامه ، ومَنْ ساعده من مسؤولي الحرس الوطني ، أن جعل من هذه المؤسسة ذات الطابع العسكري أكاديمية للتراث والثقافة والإبداع الفني ، والمدونة التاريخية والمعارف المتنوعة ، صدرت عنها كتب في غاية الأهمية من توثيقه التاريخ الشفوي والتحريري ، حتفيدة من عمله معرفتها برجال القبائل وزعماء العشائر وصلتها الوثيقة برموز العبادية وقادة المسؤولين.

التويجري مؤرخاً وأديباً :

وبالإضافة إلى النشاطات الفكرية المتعددة التي أسهم التويجري في تنفيذها تلبية لرغبة رئيسه في شتى نعمه المشروعات الثقافية الوقفية ، وعلى سبيل المثال مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بغرناطة في الرياض والدار البيضاء ، فلقد برز في العقود الثلاثة الأخيرة من حياته عاشقاً للأدب ، متيماً بالتراث ، مشغوفاً بالتاريخ ، متميزاً بسمات :

الأولى : أنه وقد حل عند قارب القرن ، وأدرك فجر الثلاثين وعاش خواطره ، كان أحد الشهود الحاضرين على عصرين : عصر التوحيد السياسي وعصر النهضة ، فضلاً عن كونه قد عَرَف من مخزون عميق من التجارب والظروف الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بنجد قبل أن يتبوأ البترول على وجه الأرض.

ص . ب P.O. Box 843 الرياض Riyadh 11421 تليفون Tel. 4707900 فاكس Fax. (+ 9661) 4708177 المملكة العربية السعودية Saudi Arabia

بسم الله الرحمن الرحيم

A. Al-Shobaily

عبدالرحمن الشبيلي

الثانية : أنه عشقه وطنه ، وتغنى بأمجاده ، وأحب موحّده وهام بتاريخه ، وتذوق طعم الأمن والرخاء وأحسّ بطعم التوحيد السياسي والاستقرار الذي ساد بعده .

الثالثة : أنه حاول خلال تلك العقود الثلاثة الأخيرة من حياته أن يترجم عشقه لتاريخ المؤسس بأعمال توثيقية بالغة الجودة ، والصنعة التدوينية الراقية ، مما هو معروف من آثاره وكتبه .

وبعد :

لقد كان التويجري قامة فكرية وسياسية ، وعلامة مضيئة في تاريخ هذه الجزيرة العربية ، وأحد أعمدة الثقافة فيها ، ومن علامة الرأي والنهضة التنويرية والإصلاحية فيها ، ولعل أكبر من أعماله التي خلّفها لنا سوى كتابه التاريخي التوثيقي الذي قدم له هيكل ونشرته دار رياض الريّس والباقي

بعنوانه : لمام الليل هتف الصباح ، وملحقه : عند الصباح حمد القوم السرى (الأول 1997 والثاني 2004)

لكفى .

---

* إعلامي وباحث سعودي

ص . ب P.O. Box 843 الرياض Riyadh 11421 تليفون Tel. 4707900 فاكس Fax. (+ 9661) 4708177 المملكة العربية السعودية Saudi Arabia